

لمقتطف

الجزء السابع من السنة السادسة * الك ١٨١

العلة والمعلول

وفي معارضة بين النظري والضروري

اخبرنا الباحث ابن العصر قال : ما زلت انتسم اخبار العلماء * واتوسم آثار الحكماء * حتى جمعتي
 المزلفة * بعضتي من طلاب الفلسفة * قد اصدقوا كالتارة * حول شيخ رقيق العبارة * دقيق الاشارة *
 اذا كرم امتك النفوس * واذا علم اوعب المعقول والحسوس * فاقبلت عليه وقد اندفع يبول في
 مضطر العلة والمعلول * فقال قد علمت يا حلة هذا الميدان رحمة هذا الزمان * ان عقل الشريفي
 اليوم يوايل العلم ويحس الحقائق فلا يعيش على دمن الوم تحت غيابات الجهل وقد قطع قيود الاوهام
 وعدل عن ترهات الخرافات فلا يخضع الا لما كان حقا ظاهرا ولا يرتع الا حيث كان العلم ناضرا وان
 رمت مني التوامد على ذلك تخسي تحت العلة والمعلول دليلا على صدق ما اقول : فقد قام ارسطو في
 مقدمة الفلاسة وحصل العلة فاعلة ومادية وصورية وغائية^(١) فحذا اجنادكم العرب حطوه وكذلك من
 جاء بعدهم حتى اتسع نطاق العلم وانتد ساعد اهل النقد فامضوا في هذه المباحث حتى بلغوا قاصبتها *
 ومكينا ناصبتها * وميزوا بين تشبيهها ورثيها * وعرفوا سببها من تخفيها * وليس من قصدي الآن
 بيان ما ابرموا وما نقضوا * ولا استقراء ما افروا وما دحضوا * وانما قصدي ان ادرك ركنك طالما
 حرصا على قيامه * واستدوه بالاوهام فترتب من اهتمامه * واعني به ما اصطالحوا على تسميته بالبدئية
 زعموا ان للفعل مواد غير التي نصل اليه عن طريق الحواس او الصور التي ينقلها التصور عن مواد
 الحواس . فاعتقادي ان الانسان لا يحصل على شيء من العلم لاني لا يحصل على صورة ما في ذهنه الا

(١) من الاشكال على تسمية ارسطو طالس للعلة التمثال المحوت فانه معلول العلة الاربع ناحت التمثال
 وهو العلة الفاعلة والحجر الذي تحت التمثال منه وهو العلة المادية والصورية التي في ذهن الداحث والتي تحت
 التمثال عليها وهي العلة الصورية والداية التي تحت التمثال لها وهي اسئلة الغائية

بالنظر والكسب وإذا شتم فتولوا بالاخبار والمزاولة والدين يزعمون ان العقل فاعل بفعله اذا نبهته
 المحواس ادرك ضرورة وبهاثة بعض الامور التي لا اصل لها في مدركات المحواس فقد اخطأ والمحرر
 وأبو الأ ان يشيدوا بناءهم على اركان مفوضة لاغراض في النفوس واماني في الصدور. ولعلمك ترموني
 بانني قد اهمت المنال فدوكم ايضا ما اردته بلا اشكال وذلك ان حقا غفيرا من الفلاسفة يقولون
 بان في الانسان جوهرًا مجردًا عن جسده هو تئمة. وان هذه النفس تتبدى افعالها في بعد ان تؤثر
 فيها المحسوسات الا انها لما كانت روحًا صرفًا لم يكن كل ما تدركه حتي الاصل بل انها تولد من تلقاء
 ذاتها مدركات روحانية صرفة لا مستخرجة من مدركات المحواس ولا حاصلة بنظر واخبار وتنظم
 مدركات المحواس في سلمها أحكامًا وافكارًا وما ضاهي ذلك. فهذه المدركات الروحانية هي ما يعرف
 عندهم بالبدييات او الضروريات كالاوليات التي عليها قيام العلم وكتولنا ان لكل معلول علة وهو ما
 نحن بصدد الان. فهنا ما انكره والذي اريد تنفضه حتى لا ابني لم حصنًا يتعمدون فيه ولا ركنًا يعتمدون
 عليه. على اني اذا حاولت نقض دعاويهم في البدييات كما ضاق بي ما نحن فيه من المقام وخارت قوتي
 عن الكلام فاكتفي الان بابطال دعاويهم في العلة والمعلول

ومحط الفرق بين ما يقولون وما نذهب اليه ان العلة عندنا متقدمة على المعلول في سابق
 والمعلول نال بتلوه بلا تخلف والعلّة عندهم سابق ذو قوة على انتاج ذلك التالي بحيث ان
 وجود المعلول يتوقف على تلك القوة في العلة. فحين لا نعرف بوجود قوة في العلة وهم يدعون
 وجود القوة فيها لغايات لم واضحة (٢). فهنا اول ما اريد دحضه ثم ادحض امرين آخرين احدهما ان
 حكما على ان لكل معلول علة حكم بدعي ضروري قد قطننا على التسليم به بلا نظر ولا استقراء
 والتالي انه اذا كان هنا الحكم ضروريًا فهو واقعي صحيح. اما الاول وهو ان في العلة قوة على انتاج
 المعلول فدعوى بلا دليل لاننا لا نرى القوة في العلة ولا نلمسها ولا نشمها ولا ندرکها بشعر آخر من
 مشاعرنا نحو اننا لا تدلنا على ان في العلة قوة. وكذلك اذا تأملنا في صور المحسوسات التي تنطبع على
 نفوسنا فكيفما حملناها او ركبناها او جردناها او عتمناها او قابلنا بينها في مشابهة او مخالفة لم نجد في
 العلة منها قوة على انتاج المعلولات وانما نجد العلة سوابق والمعلولات توالي بلا تخلف كما بيناه اننا. فان
 كنا لانجد اثرًا للقوة في العلة بعد اعمال قوى العقل طرًا وتقلب المحسوسات وصورها بطنًا وظهرًا
 فليت شعري كيف يسوغ لنا ان نحكم بوجودها ونبني على ذلك الحكم تصورًا باذخة الجدران شائعة
 الاركان وكيف ندعي مراعاة الحق ونحن نصد عن سماعه ونعرض عن اتباعه. فان كان فيكم من لا يرضيه

(٢) اذا ثبت وجود القوة في العلة سهل البرهان على وجود قوة وراء الطبيعة تدبر افعالها وجر ذلك الى اثبات قضايا عديدة من القضايا اللاهوتية وغيرها

كلامي . ويستطيع اتقاي وانحامي . فليكتشف الحجاب عن الاوهام . وليبض من روائحه على الافهام
قال الباحث وكنت اسمعه وأنا أرى خلاف ما يرى وانمل حصراً على مثل حمر الغضا . فواجبي
النفس ان انصدى لسجالي ولولم أكن من بقوى على جدالي . فقلت انأذن يا قطب الفلسفة لئلي ان
بخالف مذحك على اعترافه بتراهة قدرك ورفعة مترليك فاني لولا اتقناعي بصدق ما سابدي ورغبتي
في معرفة الحق وانجلاء الباطل لم أكن لاسط ما عندي على ما ي من قصر الباع وقلة الاطلاع امام
عجل حافل يستوقف النعام الجاهل ؟ قال هات فالمره باصغره والعلم لا كبير فيه والحق لا دالي
عليه . فقلت يا مولاي انا ندرك وجود قوة في الملة ولولم ندركها بنوة من قوى العقل التي ذكرت .
ولكني لا اريد ان اسمي ما ندركها بل علمي انك تنكر وجود تلك القوة كما ذكرت . على انه ان كانت الملة
خالية من القوة على انتاج المعلول وكانت سابقاً فقط والمعلول تالياً لا غير فلي لا نسي كل سابق علة
وكل تال معلولاً . لم لا نقول ان الساعة التاسعة هي علة الساعة العاشرة كما نقول ان الناري علة الحجر .
ولم لا نقول ان الحريف علة الشتاء كما نقول ان المغنطيس علة جذب الحديد ولم لا نقول ان الليل
علة النهار كما نقول ان اللطمة علة الالم فان التوالي بين تلك المتواليات كالتوالي بين هذه العلل والمعلولات
واذا لم تكن العلة والمعلول الا سابقاً وتالياً فالبنا لا نسي كل سابق وتال علة ومعلولاً ولم نحكم ان هذا
السابق في قوة على انتاج هذا التالي فسميها علة ومعلولاً ونحكم ان ذلك السابق لا قوة فيه على انتاج
ذلك التالي فلا نسميها علة ولا معلولاً

قال لقد احسنت فيما آبت قاننا قد اعتدنا التمييز بين نوال وتوال والمعارف بين الناس ان
في العلة قوة على انتاج المعلول . ولكن لما لم تكن هذه القوة موجودة كان اعتقادهم هنا خطأ قد
توصلوا اليه بالعادة وتكرار المشاهدة^(٣) فانهم اذ كانوا لا يرون هذا التالي الا مع رؤية السابق قالوا ان
في السابق قوة على احداث التالي فخطأوا

فقلت ومن اين اعلم ان جمهور البشر قد اخطأوا وانا على ما اري احكم من نفس طبعي ان هذا التالي
متعلق بذلك السابق وان ذلك التالي غير متعلق بسابقه مع انه يتلوه على الدوام واما قولك اننا نعتد
ذلك بالعادة وتكرار المشاهدة فردود لاني احكم ان العنبر علة الي من لدغوا ياي مرة واحدة ولا
احتاج للحكم كذلك الي مة لدغوا او متبين فلا اضن ان العادة وتكرار المشاهدة بفعالان ما نقول

قال فان لم يقصك ما قلت فدونك هذا التعليل^(٤) وهو اننا نطورون على الحكم بوجود تال عند
ظهور سابق له . فاذا رأينا النار مثلاً حكمنا بالسليقة انها تحرق كما يحكم الحيوان بالسليقة ان الماء يبروه
فنتي هذين المتعاقبين علة ومعلولاً ونحن لا نعرف دوام تعاقبها الا بالسليقة . فقلت وهذا التعليل احق

(٤) رعد . ذهب بيرون الاسكوتلندي

(٣) هنا مذهب الفيلسوف الاسكوتلندي صيرم

ذاك . ولا فرق بينها على ما ارى الآتاني الأول نعرف العلة والمعلول بالعادة والاختيار وفي الثاني نعرفها بالسلفية التي فطرنا عليها فيبقى بعض اعتراضى في مكانه وهو أنا لماذا تحكم بالسلفية على بعض المتواليات بانها علل ومعلولات ولا تحكم كذلك على البعض الآخر

فقال وما تقولك بتعليل من قال^(٥) ان العقل يصور لنفسه القوة في العلة ليعلم الاشياء بعضها ببعض فلا تكون القوة في العلة بل تكون تصورًا في النفس . فقلت وهذا لا يحل المشكل يا مولاي والآ فلي تصور هذه القوة في بعض المتواليات ولا تصورهما في البعض الآخر . ولست اريد ان اطيل عليك المتواليات فاني اعلم ان الاقوال في العلة والمعلول كثيرة^(٦) ولكي ارغب اليك ان تظلمي على رابك في ما عنيت عليه^(٧) جديدًا لعل احد عندك ثباتًا لورداً عليه . انك يا مولاي تجاري فلاسفة هذا العصر فلا ريب انك تتابعهم على ان حواس الانسان ست لا خمس وان الحاسة السادسة هي حاسة المقاومة العضلية التي تدرك بها صلابة الاجسام مثلاً وتقلها وما شاكل^(٨) . فانا اذا وضعت يدينا على جسم لا تعلم هل هو صلب او لا ما لم نشعر انه يقاوم قوة يدينا اي قوتنا العضلية فتحكم بصلاحيه وكذلك اذا رفعتنا جنمًا ثقبلاً تحكم بقوله من مقاومته لقوتنا العضلية . ثم اني اذا امسكت قطعة من الحديد فوق مقنطيس كبير اشعر ان المقنطيس يجذب الحديد واني ابذل قوتي على مقاومة جديده واقناه الحديد فوقه . اما كوني اشعر بقوة تخرج مني لمقاومة جذب المقنطيس فاؤكد كما اؤكد وجودي ولا يسع عاقلًا انكاره . واما كون المقنطيس يجذب الحديد بقوة فيه فاشعر به بحاسي المذكورة كما اشعر بحاسة البصر ان هنا الجسم متحرك . فحكمنا بان العلة ذات قوة تمنح المعلول يحصل من شعورنا بتأثير تلك القوة . ولما كانت القوة واحدة على اختلاف ظواهرها وكانت ظواهرها عامة للاجسام باسرها^(٩) كان في كل علة منها قوة على اتناج المعلول . وهذا اراء واضحا ثابتا بشهادة حاسة المقاومة كما ثبت عندى ان الجسم الفلاني متحرك بشهادة حاسة البصر . فاقول في ذلك

فاطرق الشيخ هيبية ثم قال اني لا اعطى جوابًا حتى امرؤى . ما قلت فكلامك جديد عندى وجوهه عظيم . اقول هنا وانا متردد بالفضل علي نقد عنتني ما لم اعلم وما علم المرء الا قطرة من غمراو لحظة من دهر فاقول في دعوى من يقول ان حكمتنا بان لكل معلول علة حكم ضروري بدعي عام لكل فرد عاقل من افراد البشر . فان كان هذا الحكم صحيحا وجب ان يكون تصديقه عنصرًا من جملة العناصر التي جعلت منها النظرية البشرية وان يكون هذا العنصر داخلا في جملة كل فرد كامل

(٥) هنا مدعب الفيلسوف الجرماني كنت (٦) ذكر الفيلسوف الشهير البروتيم حيلتين ثمانية اقواله في ذلك في كتابه المشي اجبات في الفلسفة (٧) اشهر من يستند على هذا المذهب السبولوجي الانكليزي كريتر

(٨) كانت هذه المدركات تعد ثباتًا من مدركات حاسة اللمس واما الآن فقد اوردوا لها الحاسة المذكورة

(٩) هذه الة انها المتأخرون حديثا

الظفرة من افراد البشر. لكنّ بعض الناس لا يصدقون هذا الحكم فلا يكون بدعيًا ضروريًا بل يكون
مكتسبًا من التجربة والاستفراء

قلت كل مسألة تتوقف عليها على استفراء كل فرد من افراد البشر بتعدّد الحكم فيها . على اني اعلم
من نفس فطرتي لا بالنظر ولا بالكسب انه لا يمكن حدوث شيء بلا محدث له ولا استطيع ان انصود
معلولًا بلا علة . وأظن ان كل عاقل يحجري في ذلك بحجراي وشاهدي تواريخ البشر واقوالهم واقوالهم في
كل زمان ومكان . هنا واذ اثبت ان المعلول يتبع عن توقي في العلة وانه ليس ناليا مستقلا عن العلة كل
الاستقلال كان وجود معلول بلا علة محالا فضلا عن ان العقل لا يستطيع تصوّره

فقال ان ثبت . ولكن ولو ثبت ان العقل لا يستطيع ان يصدق الا ان كل معلول له علة فهل يتبين
ان يكون نظام الكون مطابقا لما يصدقه العقل . ومن اين نعلم اننا لا نستطيع ان نتصور الا الصحيح الواقع
دون الكاذب المعدوم . بل اذا عملنا النظر بين لنا ان العقل قد لا يمكنه ان يصدق الا ما هو خطأ
الآن ترى ان من يركب اصبعه الوسطى على سبابته وليس بافتيها جيما مستديرا يشعر انه اثنان ولا
يستطيع ان يصدق الا انه ليس جمين مع انه في الواقع لا ليس الا جيما واحدا . وان من حرقت يده
لا يستطيع ان يصدق الا ان الالم في يده والصحيح انه في دماغه لا في يده . فاذا كنا لا نستطيع الا
التضيق بان لكل معلول علة فلا يلزم ان يكون ذلك صحيحا

قلت لا ادري هل يقع عليك هذا في محلة فان المائلين الذين مثلها على ان العقل قد لا يستطيع
ان يصدق الصحيح لا يقينان القرض المطلوب لان الخطأ فيها انما هو في الحس لا في العقل فالعقل
يحكم محسبا يصل اليه عن طريق الحواس فان وصل الحس كما في صورة المحسوس حكم العقل على
المحسوس بالصواب وان وصل الحس مغيرا عن صورة المحسوس حكم العقل بالخطأ بالنسبة الى المحسوس
ولكن بالصواب بالنسبة الى الحواس . واما اذا لم يكن حكم العقل متوقفا على ما يحتمل الخطأ فلا يكون
ما مضى على تضيق محتملا للخطأ ما لم يتم الأدلة على اننا مفضون على تصديق الخطأ او على ان عقولنا
تخطئ في الحكم ولو بلغت صورة كلها صحيحة الاشكال والارضاع والاعلامات . وذلك لا نستطيع اثباته
على ما ارى مما يحتمل لك ان تدعي مكان الخطأ في حكم العقل . فهذا الذي اريد مخلصا فان استطعت
نقضة وبما عساه اقلعت عنه والا فاني يا اقرب ما دامت العلة تعمل في المعلول

تقليد الزجاج المنحوت

اخترع ليون فينال فرنيسا لتقليد الزجاج المنحوت وهذه وصفته : ١٨ جزء من السندرك و ٤ من
المصطكي و ٢٠ من الايبر يضاف ٨٠ جزء من البترول الى كل ١٠٠ جزء منها